مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
العدد التسلسلي: 22 / المجلد11 / العـدد: 02 (2025)، ص 61- 85

جدلية العلاقات التاريخية بين إيالة الجزائروالباب العالي بين الاستقلالية والتبعية

The dialectic of historical relations between the Eyalet of Algeria and the Sublime Porte between independence and dependency

د. بلقاسم عياشي* [1]
[1]جامعة 20أوت 1955سكيكدة (الجزائر)، b.aiachi@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/31	تاريخ القبول: 2025/11/15	تاريخ النشر: 2025/12/27

ملخص: تطرح هذه الورقة البحثية قضية من القضايا، لها ارتباط عضوي بالتاريخ السياسي للجزائر خلال الفترة الحديثة، ويتعلق الأمر بمسألة العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية، حيث أثارت هذه المسألة جدالا محتدما، و اهتماما كبيرا من طرف العديد من الكتابات التاريخية في الفترة الحديثة والمعاصرة، وهذا بالنظر للأهمية التاريخية لهذه القضية، التي شكّلت موضوعا للنقاش بين الأدبيات الغربية والكتابات المحلية المهتمة بهذا الحقل التاريخي، ولعل الشيء الذي يستدعي الانتباه، أن الأحكام التي يصدرها المؤرخ تستند إلى طبيعة المرحلة وطبيعة نظام الحكم السياسي، وهذا ما ينطبق على العهد العثماني من تاريخ الجزائر .

كلمات مفتاحية: العلاقات التاريخية؛ إيالة الجزائر؛السلطة العثمانية؛التبعية؛الاستقلالية.

Abstract: This research paper raises an issue that has an organic connection to the political history of Algeria during the modern period, and it concerns the issue of relations between Algeria and the Ottoman Empire, as this issue has raised a heated debate, and great interest on the part of many historical writings in the modern and contemporary period, and this is in view of the historical importance of this issue, which has formed a subject of discussion between Western literature and local writings interested in this historical field, and perhaps what calls for attention is that the judgments issued by the historian are based on the nature of the stage and the nature of the political system of government, and this is what applies to the Ottoman period of Algerian history.

Keywords: Historical relations ; the Eyalet of Algeria ; Ottoman authority ; Dependency ; independence.

* المؤلف المرسل

1.مقدمة:

إن الدراسات التاريخية التي اهتمت بماضي الجزائر تناولت بالدراسة مجمل قضاياه بأقلام مختلفة واتجاهات فكرية متعددة و مفاهيم و مناهج متباينة، فكان من الطبيعي جدا أن تكون هذه الدراسات متنوعة الفكر والنزعة الأيديولوجية أحيانا، وهذا راجع عموما لتعدد العلاقات الإنسانية واختلاف وجهات النظر، وهذا ما ينطبق على مرحلة مهمة من مراحل تاريخ الجزائر وهي الفترة العثمانية، حيث عاشت الجزائر في ظل الحكم العثماني ما يزيد عن ثلاثة قرون(1519-1830).

وأمام هذا التنوع على مستوى الدراسات التي اهتمت بفصول هذه المرحلة، توفرت لدينا نوعين من الكتابات، النموذج الأول ويخص الكتابات الغربية وتضم كتب الرحالة ورجال الدين والأسرى والقناصل وهي مع اختلاف أهدافها وتباين اتجاهاتها تعتبر من المصادر المهمة رغم تضارب معلوماتها في بعض الأحيان، إلى جانب ذلك نجد الكتابات المحلية والتي تضم مختلف المصادر من مؤلفات ومراسلات لرجال السلطة العثمانية ،دون أن ننسى الكتابات المعاصرة التي أصبحت توظف الوثائق الأرشيفية باعتبارها أداة من أدوات البحث التاريخي، حيث أماطت اللثام عن بعض الجوانب وقدمت إجابات للعديد من القضايا التي تمس تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

وفي سياق الحديث عن الكتابات نجد أن للفرنسيين قصب السبق في مجال البحث والتأليف والنشر فيما يخص الفترة العثمانية، ولكن يؤخذ الكثير على هذه الكتابات إذا تعلق الأمر بتاريخ الجزائر خلال هذه الفترة.

في هذا الإطار سنسلط الضوء على جانب مهم يخص التاريخ السياسي للجزائر خلال الفترة الحديثة ، ويتعلق الأمر بالعلاقة بين إيالة الجزائر والباب العالي، من حيث كونها علاقة قائمة على القطيعة والاستقلالية أم علاقة خضوع وتبعية مطلقة ،هذه المسألة انتجت جدلا تاريخيا بين العديد من الكتابات التاريخية، ولكن لا نريد الدخول في تفاصيل هذا الجدال، بقدر ما نهدف إلى إبراز التعنت والتجني للأدبيات التاريخية الغربية، وهذا ما نسعى لمعالجته

من خلال هذا البحث الموسوم ب: **جدلية العلاقات التاريخية بين إيالة الجزائر والباب العالي بين الاستقلالية والتبعية** .

من هذا المنطلق جاءت إشكالية هذه الدراسة تتمحور حول طبيعة العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية من حيث كونها علاقات تبعية أم هي من نوع العلاقات التي تقوم بين بلدين مستقلين، وهذا بالاستناد إلى الشهادات التاريخية التي عالجت هذه المسألة باختلاف ايديولوجياتها، وقد اقتضت هذه الإشكالية طرح التساؤلات التالية:

- ماهي الظروف الممهدة لإلحاق الجزائر بالحكم العثماني؟.

- ماهي الأسس والخلفيات التي جعلت الكتابات التاريخية سواء الغربية أو المحلية تنحى منحى معين في الحكم على العلاقات بين الباب العالي وإيالة الجزائر؟، وهل بالضرورة هذا الحكم من طرف المؤرخ أو الباحث يكون مطلقا أو نسبيا؟

- لماذا تعتبر مرحلة الدايات مرحلة مهمة في تحديد طبيعة العلاقة بين الباب العالي وإيالة الجزائر؟.

ونهدف من خلال هذا الموضوع إلى التعرّف على طبيعة العلاقة بين إيالة الجزائر والباب العالي، مع التركيز على بعض الجزئيات المهمة في هذا الموضوع ويتعلق الأمر بتحديد طبيعة الحكم العثماني بالجزائر، ومحاولة تتبع الصورة المنتجة عن الآخر ويتعلق الأمر بالعثمانيين من طرف الكتابات الغربية والمحلية، وإبراز مدى تحكم سلطة الانتماء بأبعادها العرقية والأيديولوجية والثقافية في الحكم على الآخر.

لذلك ندرك مدى حساسية هذا الموضوع الذي يعالج العلاقة بين إيالة الجزائر والباب العالي والذي لايزال يشكل مادة بحث خصبة للعديد من الدراسات التاريخية .

ولقد اعتمدنا على المنهج التاريخي القائم على السـرد والتحليل والمقارنة، وتجلى ذلك في تقصـي الأحداث التاريخية وتتبعها من خلال الحديث عن حيثيات إلحاق الجزائر بالحكم العثماني، بالإضـافة إلى اعتماد التحليل من خلال تتبع الخلفيات والدوافع الكامنة وراء نظرة هذه الكتابات للفترة العثمانية والحكم عليها، أما اعتماد المقارنة يظهر جليا في مقارنة

المعلومات الواردة في المصـــادر الأوروبية والغربية بصـــفة عامة مع المعلومات الواردة في الكتابات المحلية.

وللإجابة على الإشكالية والتساؤلات الفرعية قمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى عدة محاور رئيسية، أردنا أن نبرز فيها كيف أصبحت الجزائر إيالة عثمانية، بالإضافة إلى تحديد طبيعة السلطة العثمانية بالجزائر، وهذا بالاستناد إلى آراء الباحثين المختلفة، كما ركزنا على مرحلة مهمة من تاريخ هذه الفترة ويتعلق الأمر بمرحلة الدايات، والتي من خلالها حددنا مدى الارتباط والقطيعة بين إيالة الجزائر والباب العالي.

وقبل الخوض في حيثيات هذا الموضوع، أردت أن أوضّح بأن هذا المقال لا يمثل دراسة مستفيضة لهذا الموضوع، وإنما يمثل حلقة من حلقات هذا البحث المتشعب، لذلك بداية أفتح قوسا يخص مسألة **إلحاق الجزائر بالحكم العثماني**.

2.ظروف وملابسات إلحاق الجزائر بالحكم العثماني:

لقد كان لظهور الأتراك بالجزائر دور فعال في إنقاذ هذا البلد من احتلال إسباني واقع (فركوس، 2003، صفحة 78) وهذا بعد أن اشّتدت غارات الإسبان والبرتغاليين وتكثفت على مدن عدة من طنجة غربا إلى طرابلس الغرب شرقا (بوعزبز، 1999، صفحة 305) ، حيث استطاع الإسبان من خلال غارتهم على السواحل الجزائرية الاستيلاء على عدة مدن ومراكز منها: المرسى الكبير عام 1505 ووهران عام 1509، وبجاية عام 1510 م (بوعزبز، 1999، صفحة 305).

أمام هذا الوضع كان الأخوان خير الدين وبابا عروج العثمانيان يجوبان شواطئ البحر المتوسط بأسطول بحري لحماية ثغور البلدان الإسلامية ضد المعتدين، فاستنجد بهم الجزائريون لتنظيم المقاومة ضد الخطر الإسباني، وهذا ما جاء في مذكرات خير الدين :" إن كان ثمة مغيث منكم أيها المجاهدون الأبطال، لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان، فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم ،جعلكم

الله سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا إليكم، فتفضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفار" (مجهول، 2010، صفحة 67)

واستطاع بابا عروج أن يحرر مدينتي شرشال والجزائر من يد الاستعمار الإسباني سنة 1516 م، وواصلا المقاومة ضد هذا الاحتلال حتى استشهد في قرية وادي المالح قرب تلمسان سنة 1518 (فيلالي، 1988، صفحة 2).

بعد استشهاد عروج طلب خير الدين من أهالي الجزائر ضرورة وجود إطار شرعي وسياسي للدعم والحماية، وهذا ما تمّ بالفعل من خلال اللجوء إلى السلطان العثماني والاستنجاد بالدولة العثمانية، وقد أشارت إلى ذلك العديد من الصادر.

فقدجاء في كتاب الزهرة النائرة للتلمساني ما يؤكد رغبة الجزائريين إلى الانضمام إلى المجال العثماني وهذا ما نستشفه من خلال هذا النص ومما جاء فيه:" ...ثم عزم خير الدين على السفر إلى إقليم الروم لأجل الغزو والمواصلة للجهاد ،وجمع أهل الجزائر من العلماء والصلحاء فقال لهم: أني قد عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وأمّنت بلادكم من العدو ،بما تركت فيكم من المجاهدين ،ومن وصل إليكم من أهل الأندلس، وما تركت عندكم من العدة لأنني تركت في بلادكم أكثر من أربعمائة مدفع، ولم يكن في بلادكم ولو مدفع واحد فقالو له :يأيها الأمير يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها والذب عن ضعفاء أهلها ولا رخصة لك في الذهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو (التلمساني، 2017، صفحة 107)

وفي نفس الصدد تحدّث **أحمد بن أبي الضياف** منوّها بتعلق الجزائريين بخير الدين لما رأوا فيه من الشجاعة والإقدام في الدفاع عن أرضهم، فخاطبه أعيان مدينة الجزائر وعلماؤها وصلحاؤها وهو يعتزم على مغادرة الجزائر بعدما أمّنها من الأعداء " : يأيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك ، فالله الله أمة سيدنا محمد فإنّ الله يسألك عنهم ..." (الضياف، 1963، صفحة 10).

ويذكر ابن رقية التلمساني أن خير الدين طلب من أعيان وعلماء مدينة الجزائر بأن يرسلوا رسالة للسلطان العثماني يطلبون فيها طلب المساعدة والانضواء تحت لواء الدولة

العثمانية، فوافقوا له على ذلك ومما قاله خير الدين :"أنتم رأيتم ما وقع منَ الملاعين الكافرين ولا يؤمن عواملهم، و قد ظهر لي من الرأي أن نصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم مولانا السلطان سليم، فيمدنا بالمال و الرجال و جميع ما نحتاج إليه من آلة الجهاد، و لا يكون إلا بصرف الخطبة إليه و ضرب السكة عليه ،فرضي أهل المدينة بذل ، و صوّبوا رأيهم فيه، فأمرهم أن يكتبوا على لسانهم كتابا إليه يخبرونه بصرف طاعتهم إليه ، وكتب هو أيضا كتابا يتضمن مفهوم كتابهم". (التلمساني، 2017، الصفحات 107-108)

وفي سياق ظرفية الحضور العثماني من منطلقات الجهاد والخلفية الدينية وحماية المسلمين، فإننا نجد في أول رسالة بعثها أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م ما يؤكد هذا، فهي تحمل خطابا تاريخيا رسميا من خلالها يمكن فهم الأحداث في المنطقة، والمحنة التي يعيشها أهلها ،كما أنها تضيف للباحث مادة مرجعية ومصدرية تحمل في طياتها تساؤلات عدة، من جملتها معرفة الشخصيات التي كلفها خير الدين بهذه المهمة ،وهو ما خاض فيه د. عبد الجليل التميمي تحليلا ومقابلة واستنتاجا ليؤكد أن السفير كان هو أحمد بن القاضي (أبو العباس) (بنحادة، 2003، صفحة 84).

كما أشار الباحث يحي بوعزيز إلى أن الدكتور عبد الجليل التميمي عثر على ترجمة لرسالة سكان مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول التي تحمل تاريخ أوائل ذي القعدة سنة 925 هـ (الموافق ما بين 26 أكتوبر ونوفمبر 1519 ونشر نصها التركي وصورتها الفوتوغرافية في المجلة التاريخية المغربية ونشر الترجمة العربية لها في نفس المجلة ،وتساءل عن حامل هذه الرسالة إلى الباب العالي، أبو العباس بن أحمد بن القاضي الذي قاد الوفد الجزائري إلى السلطان وهو في الحقيقة أمير إمارة كوكو بجبال جرجرة ،وكان في البداية متحالفا مع خير الدين ثم تمرد عليه في قرية بني عشية شرق مدينة جيجل لمدة سبع سنوات من عام 1521 إلى 1527م ،ثم أعاد الكرة على أبي العباس في مدينة الجزائر وقتله واستعاد سلطته السابقة عليها وعلى باقي البلاد (بوعزيز، 1999، صفحة 305) ،

أما عن النص الرسالة التي أشار إليها عبد الجلل التميمي والتي تتضمن طلبا من الجزائريين إلى السلطان العثماني بانضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية وتنصيب خير الدين حاكما عليها فهذا نص بعض ما جاء فيها: "إننا ندعوا بالسعادة و النصر لمقام السلطنة العلية، دعاء تبلغه أقصى الاماني معبرين لمقامكم العالي بالإجلال والتعظيم أبدا، و إن رسالتنا هذه لا تستطيع أن تستعرض كل الأسرار... ، لقد مرت حوادث جليلة ولها أخبار طويلة في نصر المؤمنين و هزيمة أعداء الله و مفادها أن طائفة الطاغية لما استولت على بلاد الأندلس، انتقلوا منها الى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد... و بعد هذه المضايقة والحصار دخل الكفار إلى وهران و بجاية و طرابلس و كان قصدهم أن يأتوا بسفنهم و يستولون علينا و يأسرونا و يشتتون شملنا فجأة. آنذاك قدم ناصر الدين و حامي المسلمين المجاهد في سبيل الله " عروج باي" مع ثلة من "الغزاة" . فقابلناه بالعز والإكرام واستقبلناه...." ، (التميمي، 1976، الصفحات 116-121)

"...بقي المشار إليه يقاتل الكفار مع جماعة قليلة، وكان قد عزم على لقائنا غير أنه وقع شهيدا في حرب تلمسان رحمه الله. وقد حل مكانه أخوه المجاهد في سبيل الله أبو التقى "خير الدين" و كان له خير خلف فقد دافع عنا ولم نعرف منه إلا العدل والإنصاف وإتباع الشرع النبوي الشريف...، ويقود الجهاد معنا في سبيل الله بنية خالصة وقلب صادق متفق الكلمة معنا في الشدة والرخاء لإعلاء كلمة الله... وأن المذكور حامل المكتوب سوف يعرض لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من حوادث والسلام. أول ذي القعدة (925(ه) " (التميمي، 1976، الصفحات 116-121).

وبالاستناد إلى هذه الرسالة والظروف والملابسات التي مهدت لإلحاق الجزائر تحت المجال العثماني، تساءل الكثيرون هل يعتبر دخول الجزائر تحت حكم الأتراك كان يأخذ طابع الغزو أم الفتح؟ أم كان يهدف للمساندة والمساعدة؟ وكيف هي طبيعة السلطة العثمانية المشكّلة في الجزائر؟ وللإجابة على هذه التساؤلات يتطلب الأمر الرجوع إلى ما وثقته الكتابات

الأجنبية وبالخصوص كتابات المدرسة الاستعمارية الفرنسية، بالإضافة إلى ما كتبته الكتابات المحلية.

3.طبيعة السلطة العثمانية بالجزائر:

لقد أثار مفهوم السلطة خلافا فكريا ولازال كذلك بين العديد من المفكرين والسياسيين، على اعتبار أنها تتعلق بمسائل حساسة في الدولة والخاصة بمشكلة الطاعة وإثبات الشرعية والإذعان السياسي، وأخرى تخص حرية واستقلال الأفراد، وهو ما يتم ملاحظته عبر المراحل التاريخية المختلفة للبشرية (شبلي و مزي، 2017، صفحة 17).

ومن بين التعاريف المختلفة للسلطة نجد المفهوم الذي يرى بأن السلطة ظاهرة سياسية وتاريخية ارتبطت ارتباطا وثيقا بتأسيس الدولة وقيام الحكم فيه انطلاقا من مسألة الشرعية، فهي قوة منظمة تهدف للإشراف على الشعب ورعاية مصالحه، وتتنوع مرجعياتها وأصولها الأولية انطلاقا من المجتمع في حد ذاته والشخص القائم بها وجملة الظروف الداخلية والخارجية التي تظهر فيها (شبلي و مزي، 2017، صفحة 18).

وكإسقاط لهذا المفهوم على السلطة العثمانية بالجزائر، فقد ظهرت عدة آراء مختلفة لباحثين ومؤرخين في تحديد طبيعة هذه السلطة ونظرتهم لها من زوايا متباينة تمّ من خلالها الحكم على هذه السلطة العثمانية .

3-1 الرأي الأول: تشويه صورة السلطة العثمانية:

لقد ورد في الأدبيات التاريخية للمدرسة الاستعمارية أن الجزائر عبارة عن مستعمرة تركية، كما ظهر جدال بين المؤرخين العرب في المشرق والمغرب، حول ما إذا كانت الدولة العثمانية دولة استعمارية من نفس نمط الدول الأوربية الاستعمارية أم إمبراطورية إسلامية أي دولة الخلافة، فالجدال حول هذا الموضوع قد لا ينتهي إذ كل من الطرفين في تقييمه للدولة العثمانية ينطلق من تجربته الإقليمية ومن ظروفه المحلية التي ليست هي نفس التجربة والظروف في المشرق والمغرب (قنان، 1994، الصفحات 24-25)

فإذا كان مؤرخو الاستعمار الفرنسي، ونقصد بهم الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الطروحات التي تبرر هذا الاستعمار، قد قدموا لنا سلطة الأتراك على أنها سلطة طاغية استغلالية قهرت السكان. (عباد، 1997، الصفحات 380-381).

فهم يريدون من وراء ذلك جعل الاستعمار الفرنسي ضرورة تاريخية مخلصة من قبضة الانكشارية ، ومن الهيمنة العسكرية التركية والتأسيس لمزاعم المهمة الحضارية لفرنسا، ومن أمثال هؤلاء غوتييه" وكتّاب فرنسيين، أين عمدوا إلى تمجيد العهد الروماني وربطه بالوجود الفرنسي ،وتشويه الفترة الإسلامية ومنها القترة العثمانية ، وقد نعتوا هذه الفترة ب "بالعصور المظلمة"(Gautier (E, 1927, pp. 46 -73.) .

وهذا ما ذهب إليه لويس رين صاحب كتاب **Marabouts et Khouan** يشبه الفترة التاريخية التي عاشتها الجزائر في ظل الوجود التركي أو التي تعيشها بفترة العصور الظلام التي عاشتها أوروبا في العصور الوسطى، وكان يشبه شيوخ الزوايا بالباباوات والزاوية (**بالدير**) والصراع الذي كان بين المواطنين المحليين وشيوخ الطرق الدينية بالصراع الذي كان في أوروبا بين رجال الدين والنظاميين والعلمانيين(Rin, 1884 , p. 13)

فمن بين منطلقات المدرسة الاستعمارية، **اعتبار الجزائر مستعمرة خاضعة للأتراك** فهم يعتبرون أن الجزائر هي بلد يحكمه الأجانب، كما تعتبر المدرسة الاستعمارية أن سكان الجزائر عبارة عن خليط من الأجناس، وأن فرنسا هي التي خلصت هذا الشعب أو هذه البلاد من الاحتلال متوحش وهمجي (والمقصود هنا الأتراك) حيث كانت تدعي فرنسا أنها قد جلبت معها الحضارة والتقدم لهذا البلاد (بيتور، 2022، الصفحات 297-302).

كما اعتبرت هذه المدرسة أن سكان الجزائر كانوا تحت حكم الأوجاق، وقد ساهموا في أعمال اللصوصية البحرية، كما اعتبروا الفرنسيين أن الجزائر لم يكن لها وجود، وأن الفرنسيين جاءوا للقضاء على الاحتلال التركي وليس على الدولة الجزائرية التي لم تكن موجودة، وهنا نستنتج بأن المدرسة الاستعمارية تنفي وجود دولة جزائرية (بيتور، 2022، صفحة 304).

كما ركزت مدرسة التاريخ الاستعماري الفرنسية كل أعمالها على الجزائر في فترة ما بعد الاحتلال على تسجيل وقائع التاريخ العام للجزائر بقصد طمس معالم الدولة الجزائرية الحديثة، ونجحت في تشويه الحقيقة التاريخية الدامغة حول طبيعة النظام السياسي في الجزائر قبل **1830م** وركزت على مقولة: " الاستعمار التركي وانعدام الوعي عند الجزائريين ومخاطر القرصنة وتجارة الرقيق التي كانت تنطلق حسب مزاعم المؤرخين الفرنسيين من موانئ الجزائر (بلعالية، 2024، صفحة 11)

لذلك ذهب سعيدوني بأن بعض الكتاب الفرنسيون الذين تناولوا الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر كانت كتاباتهم يغلب عليها النظرة الاستعمارية (سعيدوني، 2000، صفحة 26)

وقد أشار كذلك إلى هذا الرأي الباحث محمد العربي الزبيري (الزبيري، 1972، صفحة 34)حين قال " بأن المؤرخين الغربيين تعودوا أن يقولوا عن الجزائر أنها مستعمرة عثمانية، يريدون بذلك إدانة الأتراك وتبرير الاستعمار الفرنسي الذي ظل يمتص خيرات البلاد أكثر من قرن وربع قرن.

فالوجود العثماني بالجزائر في نظر المساهمة الفرنسية كان بمثابة العامل الذي حال دون اكتساب الجزائر مقومات الدولة الوطنية، وعاق تطور النظم الاجتماعية والاقتصادية وذلك ليخلصوا إلى مقارنته بالحضور الفرنسي، فالحكم التركي في هذه المقارنة غير العادلة كان يقوم في نظرهم على الاستبداد، ويتصف بالظلم بينما الحضور الفرنسي فهو أقرب إلى العمل الحضاري منه إلى التدخل الاستعماري (سعيدوني، 2000، الصفحات 26-27).

وفي المقابل هناك من تأثر بهذه النظرة الضيقة من الكتاب الجزائريين التقليديين الذين استندوا في آرائهم إلى مختلف الدراسات الأوروبية حول الفترة العثمانية، دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث والرجوع إلى المصادر الأساسية والوثائق الأصلية (سعيدوني، 1983، صفحة 30)، ففي هذا السياق نجد (Ben Achenhou, 1974, p. 6) يرى " بأن الإدارة التركية عبارة عن أداة تعمل لملء أكياس الخزينة وجيوب الأقلية التركية الحاكمة المسيطرة، مما جعل ثروة البلاد في مثل هذا الوضع أشبه شيء بقطعة حلوى كل موظف يأخذ منها حسبما

يخول له منصبه " ونفس الحكم يشاطره فيه السيد مولود قايد الذي استنتج بأن الأتراك أجانب وقد ظلوا أجانب طيلة القرون الثلاثة، وذلك لعدم تمكنهم من الاتصال بالسكان المحليين(Gaid, 1974, p. 6)

و من الكتابات المحلية التي نظرت إلى الوجود العثماني نظرة سلبية نجد صاحب كتاب فريدة منسية لمحمد صالح العنتري قائلا: «... ولم يزل ظلمهم يزداد حتى تجاوز الحد في ولاية الحاج أحمد باي بن محمد الشريف الذي أخذت قسنطينة زمان ولايته، فإنه بلغ في الظلم وسفك الدماء وأخذ أموال الناس بالباطل...وبقي على ظلمه وضاق الأمر بالناس ،حتى تمنوا الناس ولاية الفرنسيين وكان الأمر كذلك" (العنتري، 2005، الصفحات 22-23)

ويضيف في موضع آخر عن مبالغته في التحيز للفرنسيين والتجني على الأتراك قائلا: "وهذا فرق كبير بين الدولتين، فإن ظلم الترك ليس مخصوصا بمحل بل هو عام في أرضهم الأصلية، وفي غيرها، مما تحت أيديهم كما يعلم ذلك من سافر إليهم، وشاهد أحكامهم بخلاف الفرنسيين، فإنه أرضه الأصلية أهلها في غاية العافية، بسبب العدل بينهم وعدم الظلم، فسار هذا في كل محل تحت أيديهم، ومن لم يعلم ذلك يسأل العارفين" (العنتري، 2005، صفحة 24)

ويفسر يحي بوعزيز الذي قام بمراجعة وتقديم كتاب محمد صالح العنتري، أن هذا الأخير تحيز للفرنسيين على حساب الأتراك لعدة اعتبارات منها: أن أحمد باي قتل أباه، أو تسبب في قتله لمجرد وشاية وغالب الظن أنها كاذبة أما الاعتبار الثاني ربما يكون رئيسه الضابط بواسوني هو الذي أمل عليه هذا الموقف وحرّضه على تبنيه وهناك احتمال ثالث جد وجيه وهو أن محمد صالح بن العنتري تطوع بإرادته ليتخذ هذا الموقف حتى يتقرب إلى هذا الضابط بواسوني ويبقيه في وظيفته ككاتب بإدارة الشؤون العربية (العنتري، 2005، صفحة 15).

3- 2 الرأي الثاني: الإشادة بصورة السلطة العثمانية

يرى أصحاب الرأي الثاني أن الوجود العثماني في الجزائر لم يكن احتلالا، فقد شبه الباحث العربي الزبيري هذا الوجود بعملية انقضاض تشبه تلك التي قام بها يوسف بن

تاشفين لحماية الأندلس وإبقائها في حظيرة الإسلام، فهو يرى بأن الأتراك لم يحاولوا القضاء على الشخصية الوطنية بل حافظوا على مختلف عناصرها (الزبيري، 1972، صفحة 34).

في هذا السياق يقول ابو القاسم سعد الله: " ...إن نزول الأسطول العثماني ميناء الجزائر بناءَ على رغبة الجزائريين أنفسهم، ولم يكن استعمارا، ولكن لإنقاد جزء من العالم الإسلامي الذي كان مهددا بالخطر ،هذا الخطر المتمثل في الخطر الأوروبي أوائل القرن السادس عشر من خلال التحرشات الإسبانية والبرتغالية (سعدالله، 2007، صفحة 62)

أما الشيخ المهدي البوعبدلي فينظر للفترة العثمانية في الجزائر نظرة إيجابية، فهو يعتبر أنه لولا الوجود العثماني لما استطاعوا التحرر من الوجود الصليبي (البوعبدلي، 1984م، صفحة 126).

وفي هذا الصّدد نسوق ما جاء على لسان ابن العّنابي وهو واحد من المثقفين الجزائريين في وصفه للعثمانيين، منوّها بالدور الكبير الذي قاموا به في الحفاظ على الدين الإسلامي وحماية مبادئه " .ولولا ظهور الدولة العثمانية أعلى الله مقامها ، ورفع بالتأييد والنصر أعلامها فجدد القائمون بأعبائها معالم الدين ، وأحيوا ما اندرس من شريعة سيّد المرسلين ، لاّتسع الخرق ، وعمّ الفساد سائر الخلق" (سعدالله، 1990، صفحة 73)

ويرى ابن سحنون الراشدي بأن العهد التركي كان ككل العهود له محاسن ومساوئ، الجزائر في عهده حصانة البلاد ،فكانت مرهونة الجانب، يهيمن أسطولها على البحر الأبيض المتوسط ويُقرأ لبحارتها ألف حساب، ولو أحصينا غنائم هذا الأسطول المنفق عليها لما وسعها مُؤلّف مستقل، ومما يُلحق بغنائم الأسطول نذكر أن أحباس عاصمة (الجزائر) و(قسنطينة) و(تلمسان) كانت أغنى أحباس عواصم العالم الإسلامي» ومن الأحباس فقط كانت نفقات التعليم بجميع مراحله (ابتدائي» وثانوي وعالي)» كما كانت خزائن الكتب تُضاهي أعظم وأشهر خزائن العالم الإسلامي» (الراشدي، 2013، الصفحات 60-61)

أما أبوراس الناصري فقد ساند السلطة الجديدة بالجزائر تحت حكم الأتراك لأنها حمت بلاد المسلمين، ودافعت عنها باسم الجهاد في وقت كانت السلطة الشرعية – الزيانيون

والحفصيون –تخادلت عن الجهاد ضد الإسبان الذين احتلوا المدن الساحلية الواحدة بعد الأخرى (الناصري، 2018، صفحة 48).

ويرى بن عثمان خوجة (بن عثمان خوجة، 1982، صفحة 111) بأن الأتراك لم يهينوا الدِّين ولا رجاله، لأنهم كانوا مسلمين، بل عمل الكثير منهم على تطهيره من الشوائب وبنو المساجد، وحبسوا لها الأحباس، وعندما ينتصرون على قبيلة وتستسلم لهم كانوا يستقبلونها استقبالا حسنا ويرجعون لها ما أخذ منها أثناء الحرب لإشعار السكان بأنهم ليسوا غزاة ولا محتلين.

ويشيد حمدان خوجة بسيرة وسلوك العثمانيين الأتراك ، وبمدى التزامهم بالقوانين ، ومدى احترامهم لعادات السّكان واجتهادهم في الابتعاد عن كلّ ما من شأنه أن يسيء الى وجودهم بأرض الجزائر فيقول ": و من الّنادر أن تجد سارقا أو قاتلا من هؤلاء الجنود، وقد كانوا شديدي الحرص على احترام عادات البلاد ليحببوا أنفسهم إلى سكان الإيالة ،ومن كانت لهم بعض المساوئ كانوا يعملون على إصلاحها ، أو يخفونها بدّقة... لأن مستقبلهم موقوف على حسن سيرتهم) " (بن عثمان خوجة، 1982، الصفحات 108-109)

وفي مجال التسامح الديني نجد"(Tassy, 1992, pp. 95-106) يقول: أحسن شيء وأروعه التسامح، وهذا التسامح موجود في الجزائر، ...وإن حكومة الجزائر لها سلوك ممتاز في هذا الميدان، فإنها تترك الحرية التامة للمتدينين الساكنين بلادها، وبقدر ما يشتهر عندهم الإنسان بالتدين إلا ويرتفع قدره عندهم ويحترمونه ويحمونه.

وفي مجال العدالة وتطبيق القانون يشيد(haedo, 2005, p. 180) بمجهودات السّلطة الحاكمة في تجسيد العدالة فيقول ": لا يوجد أي مبرر شخصي أو شرفي يؤدي إلى تفضيل هذا عن ذاك، الكل سواسية، التركي أو الجزائري، اليهودي أو المسيحي.

ومن جهة أخرى فقد كان الأتراك يحبون الجزائر حب المواطن الصالح فيقول قادة الحاميات الشيوخ لأجنادهم : " إننا لم نخضع هذا الشعب بحد السيف ولم نمتلك البلاد بالقوة وإنما أصبحنا سادة بالعدل والإحسان وفي بلداننا لم نكن قادة وإنما حصلنا على

مناصبنا في هذا القطر، ولذلك فهو وطننا، وواجبنا أن نجتهد للمساهمة في إسعاد السكان كما لو كنا نعمل من أجل أنفسنا (الزبيري، 1972، صفحة 34).

كما أن العثمانيون تركوا المجال لاستقلال عديد القبائل مقابل الاعتراف بسلطتهم والالتزام بدفع الضرائب، حيث وجدت عدة قبائل مستقلة عن السلطة، مثل التي كانت تنتقل في مناطق الأطلس الصحراوي وتخوم الصحراء، وكانت أجزاء كبيرة من البلاد مستقلة لا تخضع للوجود العثماني بل هي تحت تصرف أمراء محليين (أولاد بوجمعة و مكحلي، 2023، صفحة 31).

كما ذهب الباحث (قنان، 1994، صفحة 25)إلى أن الوجود العثماني في الجزائر لم يكن في يوم من الأيام وجودا استعماريا بل هو وجود معنوي أكثر منه مادي، اقترنت بدايته بظروف دولية على درجة كبيرة من الخطورة بالنسبة لمنطقة المغرب وبتلك الذهنية السائدة لدى المعاصرين بضرورة وحدة الصف الإسلامي تحت لواء الخلافة لمجابهة خطر الهجمة الصليبية على منطقة المغرب الإسلامي منذ القرن السادس عشر.

وبالتالي فالفترة العثمانية أو الوجود العثماني بالجزائر كان بمثابة المعبر الزمني الذي حافظت فيه الجزائر على قيمتها الحضارية ومقوماتها الإسلامية العربية حسب رأي الباحث (سعيدوني، 1983، صفحة 29) .

4.العلاقات العثمانية-الجزائرية بين التبعية والاستقلالية:

تطرح مسألة الوجود العثماني بالجزائر قضية أخرى، ويتعلق الأمر بمسألة العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية، هذه المسألة التي تطرح جملة من التساؤلات تناولها بالدراسة بعض الباحثين أمثال : (قداش، 1977، صفحة 11) ، الذي طرح عدة إشكاليات تتعلق بطبيعة العلاقات من حيث كونها علاقات تبعية أم هي من نوع العلاقات التي تقوم بين بلدين مستقلين ؟.

1.4علاقات قائمة على التبعية:

لقد تعددت مظاهرتبعية إيالة الجزائرللباب العالي، وقد شملت عدة جوانب منها السياسية والعسكرية وحتى الدينية.

1- تعيين الوالي العثماني من الباب العالي

لقد عرف نظام الحكم في الجزائر خلال العهد العثماني تطورا ملحوظا وذلك منذ استقرار الأتراك بالجزائر بداية من القرن السادس عشر، حيث كانت الجزائر تحت حكام من الأتراك يحملون لقب البايلربايات (باي البايات)، وقد امتاز هذا العهد بمحاولة بسط السلطة العثمانية على أقاليم الجزائر والتصدي للعدو الخارجي (الإسباني) وإسكات كل معارضة محلية يمكن أن تطمح إلى استرداد الحكم (السايح، 1988، صفحة 2).

وقد كان تعيين الوالي العثماني بالجزائر يتم من الباب العالي، فبعد موت خير الدين بربروس سنة 1546م عين ابنه للولاية ابنه حسن باشا، وفي عهد هذا الأخير ومن تبعه من الولاة، كان وأوجاق الجزائر تابعا للدولة العثمانية (كوران، 1974، صفحة 13)

وفيما بعد تم استبدال نظام حكم البيلربايات بالباشوات ومن بين الأسباب التي أدت بالباب العالي لاتباع هذا الأسلوب هو خوفه من استقلال الجزائر عن السلطة العثمانية (عمورة، 2002، صفحة 97). حيث نجد الأستاذ الباحث صالح فركوس ذهب إلى أن التغيير يعود إلى الصراع الذي كان قائما بين طبقة الرياس وجنود الانكشارية، منذ نشأة الدولة الجزائرية، فهذا الصراع كان من الأسباب الرئيسية لتغيير هذا النظام (فركوس، 2003، صفحة 90).

وعليه نتيجة هذا التغيير أصبح السلطان العثماني يقوم بتعيين باشا لمدة 3 سنوات يقوم بإرساله من تركيا ويستدعيه بعد انتهاء فترة تعيينه، على أن يقوم بإرسال باشا آخر هناك (بوحوش، 1997، صفحة 58).

2-التزام إرسال الهدايا للسلطان العثماني:

شكّل تبادل الهدايا بين الجزائر واستانبول الأرضية الصلبة التي بنيت عليها العلاقات السياسية والعسكرية بين الجانبين حتى سقوط مدينة الجزائر في أيدي الفرنسيين عام

1830م (حماش، 1988، صفحة 149)،وقد مثّل تبادل الهدايا أهمية تاريخية وتقليد رسّخ ولاء الوالي الجديد للسلطان العثماني والاعتراف بتبعية الجزائر للدولة العثمانية (حماش، 1988، صفحة 150).

ويرجع تاريخ تبادل الهدايا بين الجزائر والدولة العثمانية منذ ارتباط الجزائر بالسلطنة العثمانية 1519م، حيث أرسل **خير الدين** هدية معتبرة إلى السلطان العثماني **سليم الأول** فكانت عبارة عن أربعة سفن محمل بمختلف الهدايا مع أربعين أسيرا وأربعة قباطنة، فرد عليه السلطان العثماني سليم الأول بهدية معتبرة تتمثل في ألفين من الجنود وعدد من المدافع والمتطوعين والأسلحة، وقد استمر هذا التقليد إلى عهد السلطان العثماني **محمود الثاني** الذي تزامنت فترة حكمه بسقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي (عائشة، 2017-2018، صفحة 74)

وقد اكتسى تبادل الهدايا بين إيالة الجزائر والباب العالي أهمية بالغة، فبالإضافة إلى كونها تقليدا سائدا، فهي تظهر مدى ارتباط حكام الجزائر الروحي والعاطفي بالدولة العثمانية عند تقديم الهدايا إلى الباب العالي وبذلك لعبت دورا كبيرا في تقوية العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (عائشة، 2017-2018، صفحة 74)

3- **التعاون العسكري بين الإيالة والباب العالي**

في إطار التعاون العسكري والمساعدة المتبادلة ضد القوى الاوروبية المسيحية، كان الاعتماد المتبادل بين الدولة العثمانية والإيالة ربما يصوره بوضوح اكثر التدعيم الذي يعطيه كل منهما للآخر وقت الأزمات (سبنسر، 2006، صفحة 197)

فزيادة عن الدور العثماني في إضفاء طابع الشرعية على فتوحات عروج وخير الدين، فإن البحرية الجزائرية قدمت العون للأسطول العثماني في معركة لبانتوLepanto وفي مناسبات أخرى مثل المجهودات التي قدمتها في طرد نابليون من مصر (سبنسر، 2006، صفحة 197)وكذلك في فتح تونس عام1574م وحرب البندقية 1630م والحرب ضد روسيا1759م (كركار، 2023، صفحة 127)

4-امتثال الوالي العثماني لقرارات السلطان العثماني:

اعتمدت السلطة العثمانية في استانبول على مجموعة من التشريعات والقوانين مصدرها قوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى قوانين وضعية في شكل فرمانات و أوامر سلطانية والتي نعبر عنها بالدفاتر المهمة أو "مهمة دفتري"، والتي تحتوي على مراسلات من مختلف الأنواع، موجهة من السلطان إلى الولاة وحكام السناجق والإيالات، والقضاة وغيرهم حول قضايا يومية ذات أهمية (حموش، 2000، الصفحات 17-18)

. ففي عهد السلطان مراد الثالث قام بإرسال فرمان للبيلرباي حسن فنزيانو، مكلفا إياه بإجراء تحقيق موسع حول الاعتداءات على الرعية، خاصة بعدما أصبح الجنود يهددون بقتل أو قطع يد كل من يحتك بهم أثناء مشيهم في الطريق، كما كلفه بإجبار الجنود على الامتثال للشرع والأوامر السلطانية (بوشنافي، 2014، صفحة 301)

وعليه نستطيع القول أن ارتباط إيالة الجزائر وتبعيتها للباب العالي شمل عدة مظاهر جعلت الإيالة في تبعية شبه مطلقة خلال مراحل معينة، ولكن هذا الوضع لن يستمر، أين ستشهد الجزائر استقلالية عن الباب العالي خلال المرحلة الأخيرة من الحكم ونعني بها فترة الدايات.

2.4 علاقات قائمة على الاستقلالية:

في فترة الباشوات بدأت تظهر بوادر التباعد بين الجزائر والدولة العثمانية، وهذا نتيجة التغير في السياسة العثمانية، فبعد أن كانت متوجهة نحو الغرب ونحو المشاكل المتوسطية تحولت انشغالاتها نحو الشرق عندما بدأ خطر الدولة الصفوية يهدد ولاياتها الشرقية (قنان، 1994، صفحة 38)

وبالتالي نلاحظ أن تغيير أولويات المصالح بالنسبة لكليهما هو الذي ساهم في ظهور هذا التباعد.

وفي عهد الأغوات بدأت الرابطة بين الباب العالي والأغوات تسير نحو الضعف، هذه المرحلة التي دامت اثنا عشر عاما قد تميز بما يلي:

1- اضمحلال نفوذ السلطان العثماني وغياب السيادة العثمانية في الجزائر.

2- استفحال الصراعات المحلية سواء بين ضباط الجيش البري أو ضباط الجيش البحري وتذمر الأهالي من الفساد السياسي وانتشار الفوضى في البلاد.

3- نجاح اليولداش في قلب نظام الحكم والانفصال عن العثمانيين والحد من سلطة الرياس (بوحوش، 1997، الصفحات 59-60)

في فترة الدايات استفاد حكام الجزائر من تجارب الحكم السابقة في هذا البلد بحيث حاولوا ترضية السلطان العثماني وتقوية مركز الحاكم وذلك عن طريق تعيينه في منصبه مدى الحياة، بناء على اقتراح الديوان العالي وتعيين رسمي من طرف السلطان العثماني (بوحوش، 1997، صفحة 60) وبذلك أصبح نظام حكم الإيالة الجزائرية أشبه شيء بجمهورية عسكرية (سعيدوني ن.، 1984، صفحة 15) يتولى تسيير شؤونها حاكم منتخب هو الداي.

لكن هذا الوضع لم يستمر طويلا، حيث شهدت هذه المرحلة تحولا واضحا فيما بعد على مستوى العلاقات بين الباب العالي والجزائر إذ تميزت باستقلال الجزائر عن الدولة العثمانية، وأصبح السلطان العثماني لا يلعب أي دور في اختيار داي الجزائر، وبقي دوره ينحصر في إصدار مرسوم أو (فرمان) لتثبيت اختيار الديوان العالي بالجزائر (بوحوش، 1997، صفحة 60)

فهناك من الباحثين الجزائريين من يرى أن سنة 1671 م هي بداية الانفصال الحقيقي عن جامعة الخلافة الإسلامية العثمانية، و من أبرزهم أحمد توفيق المدني الذي قام بترجمة و تعريب العديد من الوثائق العثمانية (حماش، 2002، صفحة 193) ، التي جاء بها من خزائن إستانبول و من جملة هذه الوثائق اختار وثيقة لها دلالة قاطعة على استقلال الجزائر الواسع العريض، حيث يقول (المدني أ.، 1981، الصفحات 11-29) " إن استقلال دولة الجزائر قد كان، منذ سنة 1082 هجرية أي منذ أصبحت الدولة تنتخب بواسطة ديوانها رئيسها الذي يدعى الداي، و كان استقلالا شبيها بالاستقلال المطلق، بل أننا إذا قارنا بينه و بين استقلال بلاد الدمنيون الإنكليزي اليوم وجدنا استقلال الجزائر أوسع من ذلك و أعمق" .

وبالتالي هذه الوثيقة حسب رأي الباحث (المدني أ.، 1981، صفحة 11) دليل قوي على أن موقف الدايات بالبلاد الجزائرية، لم يكن مجرد موقف الخضوع والولاء المطلق لسلاطين آل عثمان، بل كان إلى جانب ذلك، موقف الدفاع عن الدولة الجزائرية والنضال النزيه في سبيل استقلالها وحريتها.

وقد تجسدت الاستقلالية عمليا عام 1711م أين تمكن الداي أن يجمع بين منصب الحاكم ولقب الباشا بعد أن أبعد الباشا نهائيا عن البلاد (shaw, 1830, p. 125)حيث رفض الداي علي باشا شاوش (1710- 1718) مبعوث الباب العالي إبراهيم باشا إلى الجزائر وتنصيب نفسه بدلا منه.

هذه الاستقلالية يمكن تفسيرها بأن تعيين الباشا أصبح مشكلة لدى الداي، لأن السلطان العثماني كان بواسطته يحاول استعادة ما فقده من نفوذ، كما أن الدايات كانوا يشعرون بوجود مضايقة وازدواجية في الحكم فأخذوا يسعون للقضاء عليه وإلغائه بالوسائل المختلفة، وكثيرا ما منعوا نزوله إلى البر عندما يقدم من القسطنطينية، و بذلك أدمج منصب الباشوية مع منصب الداي و أصبح أسلوبا متعبا في التسمية (بوعزيز، 1992، الصفحات 29-30).

وعليه فإن الدولة العثمانية احتفظت لنفسها بسلطات شكلية في الجزائر تمثلت بصفة خاصة في الدعاء للسلطان العثماني في صلاة الجمعة، و الاعتراف بمراسيم التعيين و التعاون في مجال الحروب، بحيث تقوم الجزائر بتقديم المساعدة العسكرية للبحرية التركية في حالة تعرض تركيا لاعتداء خارجي كما حصل في معركة نافرين 1827 (بخوش، 1997، صفحة 60).

و من مظاهر الاستقلالية أن دايات الجزائر كانوا يرفضون في العديد من المرات تدخلات ووساطات الباب العالي في أكثر من مرة، و يستدل (نايت بلقاسم، 1985، صفحة 84)في هذا الباب برسالة من الداي عمر إلى الخليفة العثماني محمود الثاني الأولى بتاريخ 5جمادى الثانية 1230ه (16 ماي 1815)إذ يقول له فيها:" منذ ثلاثين سنة استحوذ

قراصـــنتنا على باخرة روســـية، وقد طلبها محمد أغا – (من قصـــر الباب العالي و بأمر الســـلطان)-كما أن قراصـــنتنا قد اســـتولوا على باخرة من جبل طارق و محمد أغا يطالب بها أيضا، " نعلم حضرة سلطاننا أنه من المستحيل علينا إرجاع ذلك".

بل و أكثر من هذا، فكم من مرة رد دايات الجزائر بعنف على مبعوثي الســـلاطين العثمانيين، عندما كانوا يأتون ليتوســـطوا بينها و بين الدول الأوروبية، لذلك فإن مبعوثو الباب العالي كانوا يعودون إلى إســـتانبول بأيدي فارغة إلى الســـلاطين و إلى ســـفراء إســـبانيا هناك، أو فرنسا أو بريطانيا أو النمسا أو أمريكا، و ينتظرون على أحر من الجمر نتائج توسط الخلفاء لدى دايات الجزائر "الصـلاب" الشـداد، ذوي الرؤوس " الغليظة" الذين كان طابعهم الإصـــرار و العناد كما يقول عنهم أغلب المؤرخين الأوروبيين و الأمريكان (نايت بلقاســـم، 1985، صفحة 85).

وفي باب الاســـتقلالية ذهب الباحث مولود قاســـم بأن الجزائر كانت تقوم بإبرام المعاهدات والاتفاقيات مســـتقلة عن الباب العالي، كمعاهدة الجزائر مع فرنســـا ســـنة 1534والمدعوة بمعاهدة شـــاتلر و Chatellerant، حيث كان خير الدين بربروس مفوض باسم الدولة الجزائرية، وسليمان القانوني شخصيا باسم الخلافة العثمانية وفرانسوا الأول باسم فرنسا (نايت بلقاسم، 1978، الصفحات 7-8)

ويضـــيف أن الأمر اســـتمر على حاله في عقد الاتفاقيات دون الرجوع للباب العالي حتى آخر معاهدة بين الجزائر وإنجلترا ســـنة 1824م والوثيقة المشـــؤومة بين الداي حســـين والجنرال دي بورمون صبيحة يوم 5 يوليو 1830 (نايت بلقاسم، 1985، صفحة 82).

وهنالك الكثير من الشـــهادات لمؤرخين أجانب بيّنوا اســـتقلالية الجزائر عن الباب العالي وتبعيتها الاســـمية فقط للدولة العثمانية مع تمتعها بكامل ســـيادتها خلال هذه الفترة، ومن الأمثلة على ذلك نذكر:

المؤرخ الفرنسي(DE Grammont, 1887, p. 126) الذي يقول " لقد كان الديوان (أي حكومة الجزائر) يتخذ القرارات بكل سيادة: فيعلن الحرب ويعقد السلم ويمضي المعاهدات

ويقيم أحلافا، بدون أن يتساءل عما إذا كانت تلك القرارات المتخذة موافقة أو غير موافقة لسياسة الباب العالي".

ويقول الدكتور توماس شو Thomas shawبأن الداي حاكم مستقل وعلاقته بالباب العالي علاقة تحالف فقط (shaw, 1830, p. 150)

ويذكر الرحالة الألماني هابنسترايت بأن داي الجزائر أصبح منذ عام 1710 م صاحب السيادة في حكم الجزائر، وقد أطلق عليه قناصل الدول الأجنبية لقب الملك وهو يتمتع بسلطة مطلقة، وإن ظل يرسل كل سنة هدية إلى استانبول اعترافا منه بأحقية السلطان العثماني في تولي أمور المسلمين وشرعيته في تمثيلهم (ج،أو.هابنسترايت، 2008، صفحة 28)

ويستشهد الباحث (نايت بلقاسم، 1985، صفحة 83) بمقولة للمؤرخ الألماني سيمونوف (Semjonouv) التي جاء فيها" إن دايات الجزائر لم يكونوا ملوكا وراثيين بل كانوا رؤوساء جمهورية عسكرية لم يبق لها قبل آخر عهدها إلا مجرد علاقة اسمية بإستانبول".

و يرى المؤرخ الأمريكي (سبنسر، 1980، الصفحات 156-165) أن الاعتماد المتبادل بين الباب العالي و رؤساء الدولة الجزائرية ربما يصوره بوضوح أكثر التدعيم الذي يعطيه كل منهما للآخر في ظروف الشّدة".

وعليه نستطيع القول بأن أغلب الكتابات المحلية والأجنبية تكرس فكرة استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية بداية من القرن السابع عشر، حيث تراجعت سلطة الباب العالي على إيالة الجزائر بصورة فعليا منذ فترة الدايات، وأصبحت الجزائر سيدة في قراراتها على مستوى الداخل والخارج.

5. خاتمة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة الإجابة على جملة من التساؤلات التي لها ارتباط عضوي بهذا الموضوع الذي يعالج مسألة العلاقات بين الباب العالي وإيالة الجزائر، حيث خلصنا إلى جملة من النتائج كانت كالآتي:

- كان ارتباط الجزائر بالحكم العثماني يستند إلى الخلفية الدينية وحماية المسلمين فهو حماية للدّين الإسلامي وصوًنا لأعراض المسلمين من الغزاة المسيحيين، وهو ما تجسد في تلك الرسالة التي بعثها أعيان مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني.

- فيما يخص طبيعة السلطة العثمانية بالجزائر فهناك من يرى في سياسة الحكام الأتراك بالجزائر نوع من الاستعمار، هنا يجدر بنا الفصل بين تصرفات الحكام ونوعية علاقاتهم بالسكان، و بين نظام الدولة الجزائرية الذي يعكس لنا اكتمال مقومات الأمة الجزائرية واستقلال كيانها السياسي، و من ثم لا يمكن الأخذ بعين الاعتبار بالمقولة الغربية التي ترى في انتماء الجزائر إلى الدولة العثمانية نوعا من الاستعمار.

- من خلال قراءة لآراء بعض الكتابات الأوروبية وبالخصوص كتابات المدرسة الاستعمارية الفرنسية، لاحظنا بأنها لم تكن نابعة عن قناعات شخصية، بل غالبا ما كانت تخدم نوايا أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها لا تخدم المعرفة والحقيقة التاريخية، وهذا من خلال محاولتها تشويه الحكم العثماني لإيجاد مبرر للاستعمار الفرنسي، وكذلك التركيز على عهود ما قبل التاريخ وعلى العهد الروماني وإهمال العصر الإسلامي مع إهمال وتجاهل للمصادر المحلية والعربية لتاريخ الجزائر.

-انطلاقا من الشهادات التاريخية نستطيع القول أن الجزائر في علاقتها بالباب العالي مرت بمرحلتين اثنتين، المرحلة الأولى وتميزت بالتبعية، لتبدأ مرحلة أخرى عرفت فيها الجزائر الاستقلالية في اتخاذ القرار دون الرجوع للباب العالي، وقد كان هذا بداية من عهد الدايات، ولكن هذا لا يعني إحداث قطيعة نهائية مع الدولة العثمانية و هذا بحكم الرابطة الدينية.

المصادر والمراجع باللغة العربية

1- أبي ضياف،أ.(1963).اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان.(ج1).تونس.المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.

2- أولاد بوجمعة،ن. و مكحلي،م. (2023). الطرق الصوفية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني:الطريقة الشيخية أنموذجا. *مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية .المجلد (9)* .العدد (1).جوان.

3- بخوش,ع. (1997). *التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962* (الإصدار ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
4- بلعالية،م.(2024) قراءة في تبرير مدرسة التاريخ الاستعماري جريمة الحاق الجزائر بفرنسا وتشخيص الأطروحة الوطنية في إعادة بناء الدولة الجزائرية. مجلة قرطاس.المجلد1.العدد2
5- بن حموش،أ.(2000).فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني. الإمارات. دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث
6- بنحادة،ع.ا. (2003).العثمانيون والعالم المتوسطي مقاربات جديدة. الرباط. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
7- بوشنافي،م. (2014).الوثائق العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني. مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ.العدد9
8- بوعزبز, ي. (1999). *مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
9- بوعزبز,ي. (1992). *الوجيزفي تاريخ الجزائر القديمة والوسطى*. (ج1). الجزائر: ديوان المطبوغات الجامعية.
10- بيتور،ع. (2022). منطلقات مدرسة التاريخ الاستعماري كما حددها المؤرخ جمال قنان. مجلة الدراسات التاريخية.المجلد23 .العدد1.
11- التلمساني ،م.(2017).الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حتى أغارت عليها جنود الكفرة.تحقيق خير الدين سعيدي.الجزائر.أوراق ثقافية للنشر والتوزيع .
12- التميمي،ع. (1976).أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519.المجلة التاريخية المغاربية.(العدد6).جويلية.
13- حماش, خ. (1988).العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي(1798-1830).رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر.كلية الآداب قسم التاريخ.جامعة الإسكندرية.
14- حماش, خ. (2002). الترجمة عن اللغة التركية في الجزائرتاريخها وواقعها. *مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية* العدد(11) فيفري
15- خوجة,ح. (1982). *المرآة*. (ط2). تقديم وتعريب وتحقيق،محمد العربي الزبيري. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
16- الراشدي،أ. (2013).الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني. الجزائر. عالم المعرفة للنشر والتوزيع
17- الزبيري,م.ا. (1972). *التجارة الخارجية للشرق الجزائري*. الجزائر: الشركة الوطنية للشر والتوزيع.
18- سبنسر,و. (1980). *الجزائر في عهد رياس البحر*. ترجمة عبد القادر زبادية .الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
19- سعد الله،أ.(1990).رائد التجديد الإسلامي محمد ابن العنابي. بيروت. دار الغرب الإسلامي
20- سعد الله،أ.(2007). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر.(ج1).الجزائر. دار البصائر

21- سعيدوني , ن.ا. (1983). *دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر(العهد العثماني)*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

22- سعيدوني , ن.ا. (2000). *ورقات جزائرية*. بيروت: دارالغرب الإسلامي

23- سعيدوني , ن.البوعبدلي،م. (1984).الجزائر في التاريخ العهد العثماني.(ج4).الجزائر.م.و.ك.

24- شبلي ,ر ,ومزي ,ع .ا .(2017) .السلطة والقبيلة من خلال كتاب المقدمة لعبد الرحمن ابن خلدون . *مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية* . العدد6.ديسمبر.

25- عائشة،ج. (2018).الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني(1520-1830).أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة الجيلالي اليابس .سيدي بلعباس

26- عباد ,ص. (1997). *الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

27- فركوس ,ص .(2003) .*المختصرفي تاريخ الجزائريين من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين* . عنابة :دار العلوم للنشر والتوزيع.

28- فيلالي ,ا .(1988) .*العلاقات الجزائرية التونسية ..(1792-1837) رسالة ماجستر في التاريخ الحديث*. معهد العلوم الاجتماعية: جامعة قسنطينة.

29- قداش ,م. (1977). الجزائر في العهد التركي. *مجلة الأصالة* .العدد(52).ديسمبر.

30- قنان ,ج .(2010) .*معاهدات الجزائر مع فرنسا . (1830 -1619)*الجزائر :دار هومة .

31- قنان ,ج .(1994) .*قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر* .الجزائر :منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

32- كركار،ع.(2023) .العلاقات الجزائرية العثمانية(1518-1830)بين التبعية والاستقلال من خلال نظام الحكم والمواقف. مجلة آفاق فكرية. المجلد 11.العدد1.ماي

33- كوران،أ.(1974).السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر(1827-1830).تونس.

34- المدني ,أ .(1981). الدولة الجزائرية تدافع عن استقلالها ضمن الجامعة العثمانية. *مجلة التاريخ* .العدد(7).

35- مؤلف مجهول.(2010).مذكرات خير الدين بربروس.ترجمة محمد دراج.الجزائر.شركة الأصالة للنشر والتوزيع.

36- الناصري،م. (2018).عجائب الأسفار ولطائف الأخبار. تح. تق. محمد غالم. (ج1).الجزائر. المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

37- نايت بلقاسم , م.ق. (1978). لسنا يتامى التاريخ. *مجلة الأصالة* العدد(56).أفريل.

38- نايت بلقاسم , م.ق. (1985). *شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830* (ج1،ج2). قسنطينة: دار البعث.

39- هابنسترايت،ج.أو. (2008).رحلة العالم ج،أو،هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس. تر. تق. تع. ناصر الدين سعيدوني. تونس. دار الغرب الإسلامي.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1- Ben Achenhou, A. (1974). *l'état Algérienne en 1830.* Alger: S.N.E.D.

2- DE Grammont, h.-D. (1887). *histoire d'alger sous la domination turque(1515-1830).* édition Leroux.
3- Gaid,M.(1974).L'algerie sous les turcs.tunise.S.N.E.D.
4- Gautier ,(E . F). (1927).Considération sur l histoire du Maghreb. R . A. Vol 68
5- haedo, D. (2005). *Topographie et histoire générale d'alger.* (a. rebahi, Trad.) Alger: édition grand alger livres.
6- Louis Rim,L .(1884) .Marabouts et Khouan. étude sur L'islam en Algérie. Alger.
7- shaw, t. (1830). *voyage dans la régence d'alger* (éd. 2eme edition). (m. carty, Trad.) tunis.
8- Tassy, L. D. (1992). *histoire du Royaume d'Alger.* paris: edition Loyse